ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد: 02(2025) ص: 148 - 156

كرونوتوب الهولوكوست في رواية جزار قالمة-الاستعمار بين التمجيد والتجريم

Chronotope of the Holocaust in the Novel The Butcher of Guelma – Colonialism Between Glorification and Criminalization

لغراب بلقاسم*
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
belkacem.loghrab@univ-alger2.dz

أم سعد حياة
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)
oumssadhayet@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/08/19
تاريخ القبول:
2025/12/15
تاريخ النشر:
2025/12/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **كرونوتوب الهولوكوست**
- ✓ **الإبادة الجماعيّة**
- ✓ **جزار قالمة**

الملخص:

لا تزال محرقة (هولوكوست) الثّامن ماي 1945 تصنع الحدث السياسي والأدبي (الروائي)، بالرغم منّ مرور أكثر من نصف قرن على حدوثها. هذا ما نستشفه من خلال رواية جزار قالمة لـ فرنسيس زامبوني بتحليل كرونوتوباتها (التاريخية، السياسية، الاجتماعية والوجودية). فهي قراءة الراهن السياسي بعين الماضي الاستعماري وأثره في سَنّ قانون 23 فيفري 2005.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضّوء على الإبادة الجماعيّة للجزائريين والازدواجية المعياريّة في تعريف الهولوكوست.

Article info

Received
19/08/2025
Accepted
15/12/2025
Published
21/ 12/ 2025

Keywords:
- ✓ *Chronotope of the Holocaust*
- ✓ *Genocide*
- ✓ *The Butcher of Guelma*

Abstract:

The Holocaust of May 8, 1945, continues to shape political and literary (novelistic) discourse despite more than half a century having passed since its occurrence.
This is what we can discern through Francis Zamboni's novel The Butcher of Guelma, when analyzing its chronotopes (historical, political, social, and existential). It represents a reading of the present political reality through the lens of the colonial past and its impact on the enactment of the law of February23, 2005 This study aims to shed light on the genocide of Algerians and the double standards in defining the term "Holocaust".

*لغراب بلقاسم

1. مقدمة

شكّلت محرقة (هولوكوست) الثّامن ماي 1945 بالشّرق الجزائري (سطيف، خراطة وقالمة) لحظة فارقة للتواجد الكولونيالي الفرنسي بالجزائر بترسيخ وعي المقاومة المسلحة التي أنجبت الثورة التحريرية 1954، غير أن هذه الأحداث لم تُقرأ فقط في سياقها التاريخي والسياسي، بل وجدت طريقها إلى المتخيّل الأدبي، حيث أعاد فرنسيس زامبوني في (روايته جزار قالمة 2007) صياغة تلك اللحظة عبر أدوات السرد والتخييّل.

في هذا المقال، لا نتعامل مع الرواية كوثيقة تاريخية، بل نقرأها وفق آلية **الكرونوتوب** كما صاغها ميخائيل باختين، أي باعتبارها فضاءً سرديًا يدمج الزمان بالمكان ليكشف دلالات مضمرة، ويطرح أسئلة جديدة تختلف عن أسئلة المؤرخ والسياسي.

الإشكالية التي نقترحها :**كيف يتيح توظيف الكرونوتوب في رواية *جزار قالمة* إعادة بناء الوعي بالحدث، وكشف تناقضات الخطاب الكولونيالي الفرنسي؟**

2. الوعي التاريخي بين الحقيقة والتخيّيل:

تدور أحداث الرواية حول حدث تاريخي محدّد (مجازر الثامن ماي)، لكنها لا تكتفي بالتقرير، بل تعيد تشكيله سردياً عبر منظور شخصيات مثل موريس فابر. هنا يظهر الفرق بين المؤرخ الذي يقدم الوقائع بوصفها حقائق، والسارد الذي يفتح أسئلة جديدة حول معنى الضحية والجلاد، وحول الذاكرة الجماعية التي تتجاوز حدود الوثيقة. إن القراءة وفق آلية الكرونوتوب تسمح لنا بتجاوز الطابع التوثيقي، نحو الكشف عن كيفية تداخل الأزمنة والأمكنة في النص، بما يخلق جدلية بين الماضي والحاضر، بين المحلي والعالمي، وبين التاريخ والتخييل لأجل الوصول إلى فضح سردية المستعمر المتعالية، وإنزاله منزلة المعتذر والمعترف بأعماله الشنيعة، وما مجازر الثامن ماي إلا واحدة منها، و"لكي ينزل العقل الكولونيالي إلى مستوى الاعتذار وأخلاق الاعتراف لابدّ أن ندك خطابه بتبيين تناقضاته الداخلية وبرفع المستور عن غيريته التي تكبحها أناه". (وحيد بن بوعزيز، دت، ص10). وواحدة من تناقضاته الداخلية الكيل بمكيالين لأحداث متطابقة وإن تفرق مكان وقوعهما فالزمن واحد. صنعت كرونوتوبات تحتاج التمحيص والتدقيق.

1.2 الواقع التاريخي لأحداث الثامن ماي:

صبيحة الثامن ماي 1945 كان الأوربيون يحتفلون بوقف حرب عالمية راح ضحيتها أكثر من خمسين مليونا. للسوفييت النصيب الأوفر، ولليهود النصيب الأشهر بميلاد سردية محرقة (الهولوكوست) تأبى المقارنة أو المقاربة مع هولوكسات أشيع بعضها ـ ناكازاكي وهيروشيما ـ وقُبِر بعضها مع ضحاياها وتحول إلى رماد كما هو حال مجازر الثامن ماي 1945. وتحول هذا الرماد إلى عنقاء عادت مع جزار قالمة تتلو خطاب الإمبريالية.

2.2 تمثيل الأحداث عبر التخييل:جزار قالمة رواية كتبها فرنسيس زامبوني سنة2007 يطوي بها الزمن ويسترجع أحداثا دموية ارتكبها موريس فابر نائب الوالي في منطقة سطيف دفاعا عن الضحايا المستوطنين الذين نكّل بهم السكان الأصليون الوحوش في الجزائر الفرنسية الديغولية تحت النفوذ الأمريكي في آن واحد .

فالسردية التي روّج لها الفرنسيون في تبرير تلك الأحداث، هي حالة الدّفاع عن النفس إثر الهجومات التي تعرّض لها المستوطنون بفعل امتداد الفكر النازي؛ وهو ما استهل به السارد عتبات الرواية.

تحمل الرواية عدة أبعاد وتناقضات داخلية للمستعمر، فهي تعيش الحاضر الفرنسي المتباكي ... مثلما تعيش الماضي الجزائري الفرنسي الدامي. الذي أصبح مادة تدرس وتكتب في كتب التاريخ في المنهاج الدراسي، فهو" -التاريخ- وليد البربرية والوحشية والقمع، إنه نتاج ماض غير مسؤول عن قمع وكبت الحاضر والمستقبل كما يتبادر إلى الكثير بل ماض هو نفسه يعيش الكبت بسبب الانحسار الذي يعيشه الحاضر والمستقبل معا" -(وحيد بن بوعزيز، دت، ص9)، فهل تقل بربرية اليوم عن بربرية الأمس؟.

نحاول أن نقرأ العمق الفرنسي الحالي من خلال الرواية. فمجازر الثامن ماي وما تلاها من أحداث في الجزائر لها اليد الطولى في قرارات الإليزيه اليوم.

3. الازدواجية المعيارية:

يسلط مقالنا كرونوتوب الهولوكوست الضوء على الأحكام والقوانين التي تسنها الأمم المتحدة والازدواجية المعيارية في تطبيق هذه الأحكام." فالتفرد للمحرقة النازية جعلت مجازر وإبادات أخرى دونها قيمة (تاريخية مثل أرمينيا، ومعاصرة مثل رواندا)، وأخذت الدراسات للمحرقة في الفهم الأكاديمي أبعد من المفهوم الشامل للإبادة الجماعية بوصفها جريمة واتجهت نحو البحث في إدراك أدق للحالة النازية، فقد ثابرت دراسات المحرقة لتصبح المعيار للبقية" (مارتن شو، 2017، ص102)، وبذلك أصبح كل قتل وترويع ما دون محرقة النازية "ويعود هذا جزئيا إلى أسباب سياسية، فعندما تعترف الدول والمنظمات الدولية بالإبادة الجماعية ، يعني ذلك وجود الحاجة إلى اتخاذ إجراءات سياسية وقانونية" (مارتن شو،2017، ص95)، تولد حتمية الاعتراف لكن حيلة المستعمر تكمن في تعريفه للاستعمار، ففرنسا تعتقد أنها جاءت لوطن خرب ليس به ساكنة وإن وجدت في بعض المناطق فهم بدائيون لم يعرفوا الحضارة والتطور. وتبيّن باربرا أرنيل أن الاستعمار "يستند إلى قوة منتجة داخلية منذ نشأته.

- يعيش المستعمرون بين المستعمرين: ينظر إلى الشعوب المستعمرة على أنها متخلفة (كسالى أو عاطفيون أو غير عقلانيين) لا لأنهم أدنى بالفطرة.
- يهدف الاستعمار إلى تحسين الأجساد والعقول المتخلفة من خلال التعليم، التدريب والعمل .
- الأراضي المهملة تحول إلى أراض مربحة عبر الزراعة والتسييج" (Barba Arneil, 2024, p146-176)، وهو ما يعني الاستيلاء في ثوب الفتح، وهو أيضا ما خوّل للبرلمان الفرنسي أن يمجّد الاستعمار ويعطي له نفسا جديدا يمدد من احتضاره.

4. الرواية سجل الراهن السياسي:

صدرت الرواية في سنة (2007) في خضم أحداث عنيفة تجمع تناقضات داخلية في فرنسا بين تياراتها السياسية في تمجيد الاستعمار أو إدانته، ففي تصريح "السفير الفرنسي في الجزائر برنارد باجولي لجريدة الشروق اليومية في ديسمبر 2007 بأن باريس تبحث في الوسائل

الممكنة لتعويض المتضررين من التجارب النووية الفرنسية في الجزائر، وفي هذا الصدد صرح المؤرخ الفرنسي بن يمين ستورا بأن هناك تطورات جديدة في السياسة الفرنسية الحالية في ظل رئاسة ساركوزي.

وخلال إشرافه على حفل التوقيع على اتفاقيات التعاون بين جامعات جزائرية وأخرى فرنسية، اعترف السفير الفرنسي باجولي من قالمة ـ التي زارها عشية الاحتفال بالذكرى المخلدة للذكرى الثالثة والستين لمجازر الثامن ماي 1945ـ بأن يوم 8 ماي يمثل لمدينة قالمة حقبة هي الأكثر مأساوية في تاريخ الجزائر الاستعماري ... وأضاف ذات السفير من جامعة قالمة بأن السلطات الفرنسية تتحمل مسؤولية المجازر التي وقعت يوم 8 ماي 1945 التي لطخت تاريخ فرنسا وتحولت إلى وصمة عار يجب محوها" (حسينة حاميد، 2012، ص503-542)، هو الاعتراف إذن: التضامن ثم الحب ثم الحق، أو الخروج من المأزق مثلما سنجد في تحليلنا أدناه و"مع انتخابه رئيسا للجمهورية في ماي 2007 وأثناء زيارة رسمية قادته إلى الجزائر نهاية تلك السنة، تلفظ الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بكلام قوي بخصوص استعمار الجزائر، حيث قال إن الاستعمار ظالم واقترح على الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة استعداد فرنسا للتكفل بالمصابين من الجزائريين في التجارب النووية الفرنسية التي جرت في الصحراء الجزائرية في بداية الستينات" (حسينة حاميد، 2012، ص504)، هذا الصوت لم يدم طويلا وانقلب على عقبيه مثلما هو ديدنهم" وسرعان ما تراجع عن تلك التصريحات –التي سبق ذكرها – وقلب الصفحة ليعلن أنه لامجال للحديث عن طلب الجزائريين من فرنسا الغفران والاعتذار فيما ارتكب في عهد الاستعمار من جرائم ذلك أن تلك الجرائم لم ترتكب في عهده ولا هي من جيله ولأنه من غير المعقول مطالبة الأبناء بالاعتذار عما اقترفه الآباء" (حسينة حاميد، 2012، ص505). إذن مسألة التاريخ الاستعماري في فرنسا لا تعدو أن تكون ورقة ضغط بين التيارات السياسية أو بالأحرى بؤرة تناقضات داخلية .

لم تكن نظرية الاعتراف لأكسيل هونيث بمنأى عن الحضور خاصة في شق التضامن؛ فغياب هذا العنصر يولد الشعور بالضعف والمهانة وعدم تقدير الذات، وقد ينتج مشاعر سلبية كالغضب والتمرد؛ ونتيجة للأحداث الدموية للعشرية السوداء في الجزائر أصيب الشباب الجزائري بتلكم المشاعر التي جعلته يبحث عن مخرج مما هو فيه. مما حدا بالرئيس الفرنسي جاك شيراك سنة 2001 إثر فيضانات باب الواد بالعاصمة لمد يد العون واقتراح معاهدة الصداقة الجزائرية الفرنسية في زيارته الرسمية للجزائر في 2003" وقد انساق المسؤولون الجزائريون إلى هذا الطرح، ربما عن حسن نية، لإيجاد مخرج من المشاكل التي ما فتئت فرنسا تضعها أمام الطرف الجزائري وعرقلة عملية تطوير علاقاتها مع بقية البلدان، وكان من المفروض أن تخضع هذه المعاهدة للتصديق وتدخل حيز التنفيذ قبل نهاية سنة 2005" (حسينة حاميد، 2012، ص506). لكن انقلبت كفة الميزان للجهة الأخرى وأعلن البرلمان الفرنسي بالمصادقة على قانون 23 فيفري 2005 الممجد للاستعمار.

ما يشد الانتباه في عملنا هو نص القانون؛ " تنص المادة الرابعة من قانون 23 فيفري على: برامج البحث الجامعي تعطي لتاريخ الحضور الفرنسي ما وراء البحار خاصة في شمال إفريقيا المكانة التي يستحقها، البرامج المدرسية يعترف فيها بشكل خاص بالدور الإيجابي للحضور الفرنسي في ما وراء البحار خاصة شمال افريقيا" (حسينة حاميد، 2012، ص:508) نص القانون على اقتران البرامج المدرسية والجامعية بمعنى جيل الشباب واستمرارية الخارطة السياسية على نفس المنوال للأجيال القادمة. لكن ماذا يقصد بعبارة ما وراء البحار؟ هي الانتقال من الكولونيالية إلى الإمبريالية؛ أو بالأحرى دمجهما بحيث يصبح لهما معنى واحد. فكانت «الإمبريالية: تقوم على قوة سيادية خارجية أجنبية تسعى إلى السيطرة على شعوب (دنيا) من الأعلى ومن بعيد ... وغالبا ما كانت المصلحة الأساسية للإمبراطورية هي المجد السياسي والاقتصادي وليس تحسين السكان والأرض. والاستعمار يستند إلى قوة منتجة داخلية منذ نشأته(Barbara Arneil,2014, p:146-176 ") إلا أنهما اندمجا وأصبحا غير قابلين للتفريق أو التمييز بينهما بعد الحرب العالمية الثانية في إطار الأمم المتحدة فالمادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة

تنص على حق الشعوب في تقرير المصير، والمادتين 73و74 التي تعنى بإعلان المناطق غير المتمتعة بالحكم الذاتي ...غير أن سؤالا أساسيا طرح على الفور: من هم الذين يُعدون ضمن المناطق غير المتمتعة بالحكم الذاتي؟.

أحد الأجوبة كان ما عرف لاحقا أطروحة المياه المالحة salt water theisis والتي اشترطت وجود محيط يفصل بين الدولة المستعمرة والمستعمرة (Barbara Arneil,2014, p176-146) وهوما نصت عليه المادة الرابعة من القانون الفرنسي23 فيفري2005 الممجد للاستعمار؛ الحضور الفرنسي في ما وراء البحار؛ أي بعد تقرير مصير هذه الشعوب ونهاية الاستعمار الذي يستند إلى قوة منتجة داخلية لابد من صيغة جديدة تحكم قبضتها تحت مسمى الإمبريالية.

لم تكن رواية جزار قالمة بمنأى عن هذه الأحداث فهي أحد مسارات هذه التناقضات الداخلية فهل كانت تمجد أم تجرم الاستعمار؟

تسرد الرواية عودة البطل موريس فابر إلى الجزائر وإلقاء القبض عليه بمجرد أن وطأت قدماه المطار بدعوى رفعتها جمعية ضحايا وأحفاد ضحايا القمع الفرنسي بشرق الجزائر ماي 1945 في حقه لارتكابه مجازر الثامن ماي 1945 ويلعب بذلك دور ورقة ضغط بحمله أسرار وأرشيف تلك الحقبة الحساسة، متمثّلة في تقارير وشهادات تاريخية ضمّنها في شكل عتبات نصية (أقوال: الجنرال ديغول، الحاكم العام للجزائر، الحزب الشيوعي الجزائري، قائد فرقة سطيف)، من شأنها أن تشكل خلطا بين الواقع والتخييل الذي هو أساس العملية السردية، تلعب طبيعة الرواية (التخييل) في تأريخ وتوثيق الأحداث والوقائع أو تزييفها مما يخدم ايديولوجية السارد؛ لذا لزاما علينا أن ينبري شباب جيل اليوم لتقصي الحقيقة مثلما انبرى شباب جيل الثورة لذلك. يقول الشيخ سعد الله " أن الجزائريين قد تركوا للأجانب، ولا سيما الفرنسيون يكتبون تاريخهم، ومن الغرابة والعجب أن ينجح الجزائريون في تصفية الاستعمار وآثاره من بلادهم، بينما يعجزون حتى الآن عن وضع تاريخ شامل لها، ولست أدري لماذا تصبح الأعمال الموجهة التي كتبها –مؤرخون– فرنسيون عن الجزائر مراجع تتسم بالموضوعية بينما توصف المحاولات التي يقوم بها أحيانا بعض الجزائريين باللاعلمية والتعصب الوطني والديني" (أبو القاسم سعد الله، 1992، ص10)، فإن كان هذا حال المؤرخ في توخي الحقيقة فكيف هي حال الناقد الذي يتقفى خطى السارد المتدثر بعباءة التخييل؟ وإن كان حال قارئ التاريخ البحث عن الحقيقة فكيف حال من يقرأ الرواية الباحث عن متعة الفانتازيا، فهو لا يأبه بترسبات لا شعورية تكلّس خلفيته المعرفية، مثل قول السارد على لسان البطل" ... في عام1956 عندما كان بعض قادتهم متهورين بما يكفي لعبور مجالنا الجوي. انتهزنا الفرصة لاعتراض طائرتهم واعتقالهم.

كنت في مطار الدار البيضاء عندما خرجوا من المقصورة. لقد ظنوا أنهم سيتم اعدامهم وكانوا خائفين حتى الموت. لقد كانوا مخطئين للغاية وبدلا من إطلاق النار عليهم في الحال. قمنا بسجنهم وسجنهم العظيم بن بيلا، المساعد السابق للجيش الفرنسي وسارق البنوك. قضى خمس سنوات من الحرب أطعمته وأسكنته فرنسا قبل أن يصبح أول رئيس لجمهوريتهم". (فرنسيس زامبوني،2007، ص08) بالإضافة إلى مجموعة من المراسلات بين الدوائر الفرنسية آنذاك مما يضفي طابع الحقيقة والاعتراف.

5. كرونوتوبات الرواية:

كما هو معلوم الكرونوتوب أو الزمكان مصطلح سَنّه ميخائيل باختين في دراساته السردية استعاره من نظرية أينشتاين النسبية وهو تجاوز العلاقة بين الزمان والمكان في الحالة الطبيعية إلى عالم الخيال والإبداع الفني.

وأحد تعريفات المكان هو الإطار المخصص للإقامة والسكون، فهو محدد بأبعاد المساحة (الطول، العرض والارتفاع) فإن أضفنا بعدا رابعا والمتمثل في الزمن خلقنا حركة وديناميكية قد تتميز بالرتابة، بينما الزمكان في الأدب فهو عبور، واستنطاق التاريخ؛ تخيّل معي أنك تدخل متحفا تشدّك نمارق مصفوفة إلى أنس عاشقيْن...تخيّل معي سيفا يشكو الصدأ يحكي عنترة الفوارس من العبودية إلى السيادة...تخيّل معي مغارة الجير تتحول إلى محرقة ترصّ فيها عائلات بأكملها يقتلها الدخان قبل أن تلتهمها النار.... إذن هو خلق واستحضار خيالات. تحاكيها الرواية وإن تعجز عن التصوير في كثير من الأحايين.

الرواية حبلى بكرونوتوبات متعددة نحاول الغوص في بعض منها:

1.5 الكرونوتوب التاريخي:

يظهر النص أنّ المكان (قالمة، أفران الجير) والزمان (ماي 1945) يتحولان إلى فضاء سردي يربط بين محرقة اليهود في أوربا ومحرقة الجزائريين في قالمة. مشاهد الحرق والدفن الجماعي لا تقدم كتقرير تاريخي، بل كتجربة وجودية تحاكم الضمير الانساني، وتضع القارئ أمام سؤال: لماذا تعطى الهولوكوست النازي قيمة معيارية مطلقة بينما تهمش محرقة قالمة؟ هنا يتجلى دور الكرونوتوب في كشف المضمرات.

الهولوكوست تعني في عرف وقوانين الأمم المتحدة هي القرار الصادر عن " الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها 96(1) في 11 كانون الأول 1946م. يعد الإبادة الجماعية جريمة في القانون الدولي، وتتعارض مع روح الأمم المتحدة وأهدافها ويدينها العالم الحضاري، ملاحظين أن كل أوقات تاريخ الإبادة الجماعية سببت الكثير من الخسائر البشرية ومقتنعين بأن من أجل تحرير البشر من مثل تلك الكارثة الشنيعة، فإن ذلك يتطلب التعاون الدولي. بموجب هذا تتفق كما هو منصوص عليه أدناه:

المادة 1: الأطراف المتعاقدة تؤكد أن الإبادة الجماعية سواء أمرتكبة في وقت السلم كانت أم في وقت الحرب، هي جريمة في القانون الدولي. ويتعهدون بمنعها والمعاقبة عليها.

المادة 2: في الاتفاقية الحالية تعني الإبادة الجماعية أيا من الأفعال الآتية والمرتكبة بنية تدمير جماعة قومية أو إثنية أو عرقية أو دينية بصورة كاملة أو جزئية مثل:

- قتل أفراد من مجموعة.
- إلحاق أذى جسدي أو عقلي خطير بأعضاء المجموعة .
- إخضاع الجماعة عمدا لظروف معيشية صعبة يُقصد منها التدمير الفعلي كليا أو جزئيا." (مارتن شو، 2017، ص70-71).

إن المتمعن لهذه البنود يجد تعريف الهولوكوست هو انزياح مكان (من أوشفيتز إلى قالمة)، وإن اعتمدتها المراجع والقواميس العالمية معيارية التعريف أيضا، يعرفها قاموس لاروس أونيفارسال **Larouss universelle** فيقول: المحرقة أو الهولوكوست **Holocauste** له طابع قدسي تضحوي عند اليهود ويندمج بالمشروع الإلهي مشابها صورة صلب المسيح عند المسيحية وهذا المفهوم موجود في التوراة وقد جاء اليهود اليوم يطبقون هذا المصطلح على ما أسموه بالإبادة الجماعية لليهود" (محمد نمر المديني،2007، ص:71)، هذا التعريف المعياري يحجب ما دونه من أعمال قتل وإبادة وهذا ما حدث لأبناء سطيف، يقول السارد: على لسان الشاب اسماعيل بومعزة " سلكنا الطريق المؤدي إلى بلد غفار، على بعد حوالي خمسة عشر كيلو مترا من قالمة، بالقرب من مزرعة سان اندريه، وهناك خرجنا من الشاحنة ورأيت كومة من الجثث في الحضيض على الجانب الأيسر من الطريق.

كان هناك أربعة وعشرون. كان لديهم أيدي وأقدام مربوطة بالأسلاك. تمّ حرق البعض. أعطانا رجال الميليشيا معاول وأجبرونا على توسيع البالوعة. لقد دفعنا الجثث إلى هذه الحفرة " (فرنسيس زامبوني،2007، ص24)، في مشهد آخر يتطابق فيه السرد مع كثير من الروايات العالمية التي تحوّل معظمها إلى أفلام أو وثائق (شهادات) رسمية (الليل لإيلي فيزل، إذا كان هذا إنسانا لبريمو ليفي، لا مصير لإمره كرتيس ...) وغيرها، أما محرقة قالمة ..." توقفت الشاحنة أمام شركة السيد لارو. صانع الجير، كانت الأفران مضاءة وكانت هناك بالفعل كومة من الجثث أمامها. كان هناك حوالي عشرة من رجال الميليشيات يراقبون العرب الذين كانوا يحملون شارات مثل شارتي. وألقوا الجثث في الأفران. لم أستطع التنفس جيدا بسبب وجود دخان أزرق كثيف وكانت رائحته تشبه رائحة اللحم المحروق" (فرنسيس زامبوني،2007، ص26)؛ بل لحم محروق ولا داعي للشبه.

2.5 الكرونوتوب الاجتماعي والسياسي:

الرواية تربط بين أحداث ماي 1945 والراهن السياسي الفرنسي، وبذلك نجد أن موريس فابر لا يقدّم كفاعل في الماضي فقط، بل كرمز يستثمر في الحاضر لتبرير أو إدانة سياسات فرنسا. الكرونوتوب هنا يكشف أنّ الزمن الروائي لاينغلق على الماضي، بل يفتح على الحاضر السياسي والاجتماعي، ويُظهر كيف يستعمل التاريخ كأداة ضغط، وكيف تُوظف الذاكرة الجماعية في صناعة المواقف السياسية. بهذا المعنى النص لايحاكم الواقع، بل يفضح تناقضات الخطاب الكولونيالي الذي يتأرجح بين الاعتراف والإنكار.

الكرونوتوب حكاية مكان تعاقب عليها الزمن ولم يستطع محوها فيختم على مغلفها عبارة لستُ ندا. فالندية لم تكن إلا ما "كُتب ليقدم درسا عن صفحات التوحش الامبريالي ومَدّه الذي يعصف بمستقبل الشعوب، تأكدٌ من أن رَسم لحقائق في الحاضر لا مسار له سوى العودة إلى أصوات الماضي لفهم جيد وعميق للراهن مهما كانت قسوته" (حياة أم السعد، دت، ص 15) ومن قسوة الراهن السياسي التبجح والإقرار بالفعل مهما كان شنيعا " ربما تكون الحقائق التي وصفها اسماعيل بومعزة لهذا المفوض المسكين مورو صحيحة. وماذا في ذلك؟ وتبقى قصته على مستوى الأرض. إنه لا يجسد الجو ولا قضايا العصر. قراءتها اليوم تجعلك تشعر وكأننا مجرد وحوش...لا يمكن الحكم على أفعالي في عام 1945 إلا فيما يتعلق برغبتي في منح بلدي مستقبلا يستحق ذلك" (فرنسيس زامبوني،2007، ص27) عبارته" وماذا في ذلك؟ افتخار بأفعاله الإجرامية التي ربطها فيما بعد بأحداث الراهن السياسي ليخلق كرونوتوبا سياسيا يزج فيه أصواتا ناعقة مثل صوته، فهو يربط زمن كتابة الرواية (2007) بأحداث الجزائر وخروجها من محنتها –العشرية السوداء– وإقدام السلطات الجزائرية على تضميد الجراح بقوانين الوئام والمصالحة الوطنية بخبر اعتقاله والحملة الصحفية التي أعقبت اعتقاله. يقول: "نائب القنصل، الذي أصبح أخيرا أقل غباءً مما كنت أعتقد في البداية أوضح لي أن هذه الحملة الصحفية الدنيئة لم تكن تستهدفني بشكل مباشر. لقد كان في ذلك الواقع يمثل مناورة من قبل حكومتهم، حريصة على جعل الناس ينسون فسادها وعدم كفاءتها ولكي يجعل شعبه يبتلع العفو الممنوح للسفاحين الأصوليين قرر أن يحولني إلى شخصية رمزية للشر" (فرنسيس زامبوني،2007، ص33)، بينما يبيّن السارد تخبط حكومة بلده وتناقضاتها الداخلية إزاء علاقاتها بالجزائر يقول: " قراءة الصحف صدمتني حقا. الصحف الفرنسية. التي لم تكن تعرف بعد ما هو الموقف الصحيح سياسيا الذي يجب أن تتبناه تجاهي، كانت واقعية إلى حد ما ولا طعم لها...لكني وجدت صعوبة في تحمل فورة الكراهية التي أثارها مجرد ذكر اسمي في مقالاتهم"(فرنسيس زامبوني، 2007، ص 33) إذن تداعيات قانون 23 فيفري 2005 كانت حاضرة بثقلها وتكتب لهيمنة جديدة. ومثلما ذكرنا سابقا" ...لا تقلق موريس، ستتمكن أخيرا من ذلك بحرية، أرح ضميرك، وهذا هو بالضبط ما سيحدث: ربما تعلمون أن سفيرنا اعترف خلال حفل رسمي ودون مزاح بأن القمع المأساوي لعام 1945 كان بمثابة خطأ لا يغتفر من جانب فرنسا" (فرنسيس زامبوني،2007، ص44).

لا يتوقف المدد على السياسي الفرنسي داخل أروقة البرلمان فحسب، بل يتعداه إلى الاستنجاد بالهيمنة الإمبريالية والمتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية التي أخذت توسع دائرة نفوذها بعد هيمنتها على الساحة العالمية بعد الحرب العالمية. وتكتب مجلة نيويورك تايمز مقالات عن أحداث الثامن ماي 1945 حيث كانت بداية تقاريرها أن السبب الأساس كان التغذية " بإعلان بلاغ الحاكم العام في الجزائر يوم 11 ماي، ثم تصريح الناطق الرسمي باسم الحكومة الفرنسية، كتبت الصحيفة أول مقال لها يوم السبت 12 ماي (الصفحة 04 في 124 كلمة) وتحت عنوان بارز: "أعمال الشغب بالجزائر تتأكد: مجلس الوزراء يتخذ الإجراءات لتخفيف العجز في وسائل التغذية" (تيتة ليلى، 2013، ص 241)، التقارير لم تكن تأتي إلا من المراسلين الفرنسيين أو الإيطاليين بالإضافة إلى مصادر الحكومة الفرنسية التي تربط الأحداث دائما بأعمال الأحزاب السياسية التخريبية (أصدقاء البيان والحرية وفروع من حزب الشعب الجزائري غير الشرعي)، ثم توالت التقارير حيث ذكرت "أنّ القوات الفرنسية البرية والجوية قد قتلت وجرحت أكثر من 10.000 ثائر عربي في أوائل هذا الشهر خلال حملة دامت تسعة أيام ... وأن الطائرات المقنبلة الفرنسية سحقت قرى أهلية بأكملها في المناطق الثائرة الواقعة حول المدينة الجزائرية الجبلية قسنطينة ..."لم تكن الولايات

المتحدة الأمريكية وصحافتها على حياد" ... أنهم أكدوا للإدارة الفرنسية بأنه ليس لديهم أي يد فيما حدث بالجزائر على أساس أنهم هم الذين حرروا شمال افريقيا عسكريا وأعادوه إلى الفرنسيين" (تيتة ليلى، 2013، ص246).

لم يكن الكرونوتوب السياسي في الرواية ليغفل عن حلقة الإمبريالية، فقد كانت الملاذ لما بعد الاستعمار "... لقد أصدرت المخابرات الأمريكية تعليماتها لي ولرفاقي للعب دور حصان طروادة من خلال الاستيلاء على نقاط استراتيجية في العاصمة" (فرنسيس زامبوني، 2007، ص 64)، وبالطبع لم تكن شمال افريقيا وبالأخص الجزائر بمنأى عن الاهتمام الأمريكي " ذلك أن السيد روبرت مورفي الممثل الشخصي للرئيس روزفلت في الجزائر قد اتصل بالجنرال جيرو، قائد القوات الفرنسية المؤيدة للحلفاء في الجزائر قبل عملية النزول بستة أيام فقط، وحدد له أهداف سياسة أمريكا في شمال افريقية (الفرنسي) وهي بناء على ذلك: ...(3) في حالة القيام بعمليات عسكرية في المنطقة (في فرنسا أو في المستعمرات، والجزائر تعتبر جزءا من فرنسا وليس حتى مستعمرة) ، فإن السلطات الأمريكية لن تتدخل بأية طريقة في هذه القضايا لأنها تعتبرها من اختصاصات السيادة الفرنسية" (أبو القاسم سعد الله، 1992، ص196).

3.5 الكرونوتوب الوجودي:

الوجود يتطلب القوة والسلطة، وها هو ديغول المنتشي بالنصر بعد الهزيمة النازية يقر باعتزاز بإبادة جديدة ويصدر خطابا قويا وشّح به فرنسيس زامبوني روايته، يقول ديغول: " أرجو أن تنقلوا إلى أسر ضحايا العدوان في سطيف تعاطف الجنرال ديغول والحكومة بأكملها. يرجى التأكيد علنا على رغبة فرنسا المنتصرة في عدم السماح بأي اعتداء على السيادة الفرنسية على الجزائر.

يرجى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لقمع جميع الأعمال المناهضة لفرنسا من قبل أقلية من المحرضين. ويرجى التأكيد على أن فرنسا تحافظ على ثقتها في جموع المسلمين الفرنسيين في الجزائر " (فرنسيس زامبوني، 2007، ص04)، يبدو أن تيمة الضحية باتت على لسان كل من خوّل لنفسه الحق في الحكم وإن كان هو الجلاد. من هم أسر ضحايا العدوان الذين يحتاجون التعاطف في نظر الجنرال؟

الوجود يعني الانتماء وهو حضور الثقافة في صناعة الوطن، فالثقافة تصنعها اللغة التي راح موريس فابر يمجد لغته الفرنسية وينتفض لعدم المعرفة بالثقافة الفرنسية، والذي يقول في شأنها: "طالما أنكم لا تفهمون أن تاريخ الجزائر الحديث يبدأ في 14يونيو 1830 مع هبوط الفرنسيين في سيدي فرج وليس في 03 يوليو 1962، كما قال لنا عدة مرات، فإن هذا البلد لن يكون له مستقبل" (فرنسيس زامبوني،2007، ص67). إذن هو تمجيد للاستعمار وبكاء على فقدان ماض تليد، ففرنسيس زامبوني من الأقدام السوداء ولد في قسنطينة 1947 ويتشبث بقشة تتلاطم به في أمواج البحار المالحة.

6. خاتمة:

مما لا شك فيه أن هذه القراءة المقتضبة لم تكن لتسبر أعماق وأبعاد الرواية في شتى المجالات التي طالها الروائي، إلا أنّ هذه القراءة وفق آلية الكرونوتوب تكشف أنّ الرواية لا تقدّم كوثيقة تاريخية، بل كخطاب تخييلي يعيد إنتاج سردية الاستعمار ويُبرز تناقضاته الداخلية. فهي تفتح وعياً جديداً بالحدث، يختلف عن وعي المؤرخ والسياسي، وتُظهر أن الأدب قادر على مساءلة التاريخ والسياسة معاً. من هنا تأتي ضرورة أن يكتب الجزائريون تاريخهم بأقلامهم ، وأن يمحّص الأدب الغربي لكشف سردياته المضمرة، لأن الرواية ليست مجرد انعكاس للواقع، بل أداة لإعادة تشكيله، وفضح تناقضاته (الازدواجية المعيارية في التعريف بمصطلح الهولوكوست) ، وفتح أسئلة جديدة حول الذاكرة والهوية والعدالة في سياق مابعد الاستعمار.

قائمة المراجع

- أبو القاسم، سعد الله، 1992، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، بيروت، لبنان، ج3، ط4(منقحة)، دار الغرب الإسلامي.

- مارتن شو، الإبادة الجماعية (مفهومها، وجذورها، وتطورها، وأين حدثت...؟)، 2017، ترجمة: محيي الدين حميدي، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار العبيكان للنشر، ط1 .
- حياة أم السعد: صدأ التاريخ ...ضمن كتاب مساءلة الكولونيالية .
- فرنسيس زامبوني، 2007، جزار قالمة مطبعة سويول .
- محمد نمر المديني، 2007، الهولوكوست المحرم، دمشق، سوريا، دار قتيبة، ط1 .
- وحيد بن بوعزيز، مساءلة الكولونيالية، مجلة إنزياحات 01، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر .
- Barbara Arneil, 2024, "Colonialism versus imperialism political theory", Vol 52 (1) .
- حسينة حاميد، 2012، في خلفيات وأصول قانون 23 فيفري 2005، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد13، رقم 17.
- ليلى تيتة، 2013، 08 ماي 1945 في الجزائر من خلال صحيفة نيويورك تايمز (1945-1946)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 26 .